معالم الاتجاه الإصلاحي في كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم
" نماذج من سورة البقرة"

Features of the Reformist Trend in the Book "Thematic Interpretation of the Surahs of the Holy Qur'an"
" Examples from Surah Al-Baqarah "

تقرورت هشام *
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)
hichamislamique@gmail.com

سفيسيفي عبد الرحيم
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)
sefisifiabderrahim@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/05/20 تاريخ القبول للنشر: 2025/02/10 تاريخ النشر: 2025/07/20

ملخص

تناولت هذه الدراسة معالم الاتجاه الإصلاحي الذي تضمنه كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، وذلك من خلال نماذج تبرز الجانب الإصلاحي في محاور التفسير الموضوعي، وبيانا لمدى استيعاب هذا اللون الجديد من التفسير تلك الصبغة التجديدية الإصلاحية في ثناياه. وباستخدام المنهج التحليلي الذي من خلالها تم استقصاء تلك الشواهد القرآنية وما تحمله من جوانب الإصلاح، وقد توصلت الدراسة إلى أن التفسير الموضوعي

* المؤلف المراسل

والاتجاه الإصلاحي وجهان لعملة واحدة، حيث ينصب اهتمامها على جعل القرآن الكريم محورا للإصلاح وعلاج مشكلات البشرية. وتميز هذا التفسير بالطابع الهدائي والواقعي في تفسير النصوص القرآنية.

- **الكلمات المفتاحية:** الإتجاه الإصلاحي، التفسير الموضوعي، التفسير، التجديد، النصوص القرآنية.

Abstract:

This study explores the features of the reformist approach presented in the book Thematic Interpretation of the Surahs of the Qur'an, through selected examples that highlight the reformative dimension within the thematic interpretation framework. It demonstrates how this emerging mode of interpretation embodies both innovation and reform in its content. Employing an analytical method to examine Qur'anic evidence and its reformist implications, the study concludes that thematic interpretation and the reformist approach are intrinsically linked. Both seek to establish the Qur'an as a central foundation for reform and for addressing contemporary human challenges. This interpretative method is characterised by a guidance-oriented and pragmatic perspective in engaging with Qur'anic texts.

Keywords: Reformist Approach; Thematic Interpretation; Tafsīr; Renewal; Qur'anic Texts.

مقدمة

عرف علم التفسير نوعا من الجمود والركود فكان فيه تقليد السابقين فيما صاروا إليه دون البحث عن وسائل لفهم جديد، وبقي التفسير على هذه الحال إلى أن ظهرت بوادر تنادي بالتجديد والحركية في التفسير، وتدعو إلى إعادة فهم القرآن وقراءته قراءة جديدة يكون بها تأثير في المجتمع الإسلامي وتعيد له مجده الذي سلب منه، كان العصر الحديث محطة جديدة استقل أصحابها قطار التجديد والتغيير انطلاقا من الفهم السليم للقرآن الكريم على نهج السلف.

كان لهذا التغيير والتجديد الأثر البالغ في ولادة تفاسير تلونت بصبغة جديدة ازدانت بها المكتبات، نهج أصحابها مناهج متعددة وطرقا جديدة في التفسير وذلك على اختلاف توجهاتهم التي اتخذتها مدارسهم، وهذا ما جعل أهل الاختصاص والعلماء يدرسون هذه التفاسير ويستنبطوا الاتجاهات التي نحتها تلك التفاسير، فظهر بما يسمى اتجاهات التفسير.

تنوعت اتجاهات التفسير وتعددت من تفسير لآخر؛ ولقد كان للحركة الإصلاحية دور فعال في بلورة التفاسير وإعطائها صبغة إصلاحية تغييرية لأحوال المجتمعات الإسلامية. وإننا لنجد سمات هذه الحركة بادية في كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم الذي يعتبر من التفاسير التي كانت وليدة هذا العصر تحت إشراف نخبة من العلماء.

نهدف من خلال دراسة هذه الدراسة إلى:

- إبراز معالم الاتجاه الإصلاحي الموجودة في هذا التفسير.
- التعريف بالاتجاه الإصلاحي وعلاقته بالتفسير الموضوعي.
- بيان دور هذه التفاسير لتحقيق الإصلاح في الواقع المعاش.

وهذا يقودنا إلى طرح بعض التساؤلات التي سنسعى للإجابة عنها وهي كالتالي: ما هي سمات الاتجاه الإصلاحي في هذا التفسير؟ وهل كان هناك أثر بارز لهذا الاتجاه في هذا التفسير؟

ويتأسس منهج هذه الدراسة على المنهج التحليلي لبيان تلك الجوانب التي يغطيها الاتجاه الإصلاحي وعلاقة هذا التفسير بهذا اللون من الاتجاه.

وللإجابة عن هذه التساؤلات رسمنا الخطة التالية:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الأول: الفرق بين الاتجاه والمنهج في التفسير.

المطلب الثاني: الإتجاه الإصلاحي (الهدائي).

المطلب الثالث: التفسير الموضوعي.

المبحث الثاني: معالم الاتجاه الإصلاحي في التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.

المطلب الأول: علاقة التفسير الموضوعي بالاتجاه الإصلاحي.

المطلب الثاني: تنزيل النصوص على الواقع في كتاب "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم".

المطلب الثالث: الهدايات القرآنية في كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

تنوعت وتعددت اتجاهات التفسير عند المفسرين المعاصرين وذلك تبعا لتنوع فهومهم ونظراتهم ورؤاهم التجديدية، فنجد أن التفاسير في العصر الراهن تختلف اتجاهاتها وذلك على حسب المشرب الذي استقى منه أصحابها، وكان لهم في ذلك مناهج اتخذوها في سيرهم

للخوض في التفسير، وإننا لنجد إشكالا بين مفهومي الإتجاه والمنهج في التفسير، فهل يمكننا أن نعتبر الإتجاه التفسيري هو المنهج التفسيري، أو هناك فروقات بين هذين المصطلحين.

المطلب الأول: الفرق بين الاتجاه والمنهج في التفسير.

لم ينضبط مفهوم كل من الاتجاه والمنهج لدى الدارسين والباحثين في تاريخ التفسير، وقد حاول د.إبراهيم شريف تحديد كل من الاتجاه والمنهج واقتراح تصنيفا للاتجاهات الحديثة في التفسير أقرب إلى الدقة العلمية وإلى الصواب نجتزئ من بحثه. وبتصرف. ما يلي :

الفرع الأول: مفهوم الاتجاه

يقول إبراهيم شريف: «... ومفهوم الاتجاه يتحدد أساسا بمجموع الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري. كالتفسير مثلا. بصورة أوضح من غيرها, وتكون غالبة على ما سواها يحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير ولونت تفسيره بلونها."[1]

أو هو "يدل أساسا على مجموعة من المبادئ والأفكار المحددة التي يربطها إطار نظري، وتهدف إلى غاية بعينها"[2].

الفرع الثاني: مفهوم المنهج

يعرف صلاح عبد الفتاح المنهج بأنه: "هو الخطة المرسومة المحددة الدقيقة، التي تتمثل في القواعد والأسس والمنطلقات، التي تعرَّف عليها المفسر، والتي انطلق منها في فهمه للقرآن الكريم، والتي التزم مع كتاب الله ويفهمه ويفسره فلم يخالفها، ولم يخرج عنها"[3]

والمنهج بمفهومه العام هو:"الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[4].

أما بمفهومه الخاص. مقابلا بالاتجاه. فيرى(الباحث د شريف) أن المنهج التفسيري: "يدل أساسا على الوسيلة المحققة لغاية الاتجاه التفسيري والوعاء الذي يحتوي أفكار هذا الاتجاه التفسيري أو ذاك"[5].

فالاتجاه التفسيري أعم من المنهج، وما المنهج إلا خادم للاتجاه في تحقيق غاياته ومراميه والوعاء الحافظ لأفكار الاتجاه التفسيري. ولقد أطال بعض المتخصصين في ميدان القرآن النفس في الاتجاهات التفسير وعددوها إلى عدة أنواع وألوان تم استنتاجها من خلال الاستقراء والدراسة لتلك المناهج التي اتخذها أصحابها في تفاسيرهم. فقد أحصى حسين الذهبي ثلاث اتجاهات أو ألوان تفسيرية – كما أسماها– وهي: اللون العلمي واللون المذهبي واللون الأدبي الاجتماعي[6]، ويرى إبراهيم شريف أن اتجاهات التجديد التفسيرية هي: الاتجاه الهدائي والاتجاه الأدبي والاتجاه العلمي[7]، وعددها صالح عبد الفتاح الخالدي إلى ستة اتجاهات وهي:الأثري والعقلي والعلمي والاجتماعي والبياني والحركي[8]، واختار محمد دراجي ثلاثة اتجاهات وهي: الاتجاه العلمي والهدائي والحركي[9].

تعددت الاتجاهات التفسير وتنوعت ألوانه من مدرسة لأخرى وتميزت بمناهج خاصة، ويعتبر المنهج الإصلاحي من بين المناهج التي ظهرت في العصر الحديث وتحددت معالمه على يد جملة من العلماء والمفسرين؛ الذي استخدموه واتخذوه لتحقيق مرادات الشارع الحكيم وما يوافق متطلبات العصر واحتياجات المجتمع. تعددت تسمياته واطلاقاته إلا أنه يصب في وعاء واحد وهو وعاء الإصلاح فمنهم من سماه بالهدائي ومنهم من سماه بالاجتماعي ومنهم من سماه بالإصلاحي.

المطلب الثاني: الإتجاه الإصلاحي (الهدائي).

اختلف أهل الاختصاص في تسمية هذا الاتجاه ولكن كل هاته التسميات لها معنى واحد؛ إلا أن لكل واحد منهم وجهة نظر في تلك التسمية. وقد دعا أصحاب هذا الاتجاه إلى تجديد فهم القرآن الكريم والانتقال به من دائرة الجمود والتقليد الذي آل إليه التفسير في الآونة الأخيرة إلى دائرة معايشة واقع المجتمع ودراسة القضايا الاجتماعية التي طرأت على هذا الأخير. وهذا الاتجاه "هو أحد الاتجاهات التي الواضحة المبكرة في حركة التفسير في العصر الحديث"[10]. فقد جاء هذا الاتجاه كردة فعل على ما آل إليه حال الأمة الإسلامية من ضعف وهوان وانحطاط حضاري، فاتخذ أهل التفسير من هذا الاتجاه إلى معاشرة القرآن الكريم والاستنارة بهدايته وإصلاحه؛ الذي أثبت نجاحه في أمة عربية كان يسودها الجهل والظلام من عبادة الأوثان التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

- **مفهوم الاتجاه الهدائي.**

يركز هذا الاتجاه "على مجتمعات المسلمين، ويحرص على إصلاح تلك المجتمعات على أساس القرآن، ويعالج أمراض ومشكلات المجتمع المختلفة، ويقدم السنن الاجتماعية الكفيلة برقي المجتمعات وتقدمها"[11].

وعرف أيضا بأن هذا الاتجاه "يدعو إلى معالجة الفساد الاجتماعي، والتأخر الفكري والحضاري، وذلك بالرجوع إلى الإسلام الحق، وتحكيم نصوصه الثابتة من الكتاب والسنة."[12]

وعرفه عثمان أحمد عبد الرحيم نقلا عن رشيد رضا بأنه ذلك الاتجاه الذي "يرشد فيه المفسر الناس إلى فهم مراد القائل من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأخلاق

والأحكام، على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام ليتحقق فيه معنى قوله: {هُدًى وَرَحْمَةً}"[13].

من خلال ما جاء في التعاريف السابقة نستخلص أن الاتجاه الهدائي هو ذلك الاتجاه القائم على صيانة ورعاية المجتمعات الإسلامية من الضعف والانحطاط والفساد الذي أصابها، ومحاولة معالجة تلك المشكلات والقضايا وذلك من خلال القرآن الكريم وما يحمله من هداية وخير للبشرية، وأيضا محاولة ترقية تلك المجتمعات فكريا وحضاريا وعلى كافة الجوانب الحياتية لها.

وقد حاول أصحاب هذا الاتجاه إعادة بعث روح الإسلام وبثها في عروق تلك المجتمعات التي أصابها الشلل، من جراء ما أصابها من أسقام وأمراض حالت بينها وبين مواكبة التقدم والتحضر والرقي. وقد برزت شخصيات كثيرة تحمل هذا الاتجاه، ويعتبر جمال الدين الأفغاني من أبرز الشخصيات التي ساهمت في تأسيس هذا الاتجاه[14]، وتبعه في ذلك محمد عبده ورشيد رضا ليكون همهم الشاغل تأليف تفسير يكون إصلاحيا إجتماعيا يواكب متطلبات العصر والمجتمع.

المطلب الثالث: التفسير الموضوعي.

إن هذا اللون التفسيري الجديد الذي ظهر في العصر الحديث أعطى رؤية استشرافية لواقع التفسير، وأبرز أن هذا القرآن العظيم بحر عميق من الأسرار التي لابد أن يبذل لها النفس والنفيس من أجل استخراجها. فكان لمصطفى مسلم دور كبير في ولادة تفسير موضوعي لسور القرآن، وفقا لتلك الرؤية التي كان يطمح إليها.

الفرع الأول: مفهوم التفسير بالموضوع.

يعد التفسير الموضوعي من التفاسير التي برزت في العصر الحديث وذلك تزامنا مع الحركة التجديدية الإصلاحية التي ظهرت في مصر وغيرها، لم يكن لهذا التفسير نفس النمط الذي اعتمدت عليه التفاسير السابقة بتفسير القرآن آية بآية واستخراج معانيها، بل جاء على نمط لم يسبق له نظير فقط عرض فيه أصحابه مجموعة من المواضيع التي جاءت في القرآن الكريم متكررة، وبما أن هذا القرآن عربي وغير ذي عوج فإن تكرار المواضيع فيه وعلى نسق وبلاغة وأسلوب متين لم يكن عبثا، وإنما هو قائم على أساس و هذا "الأساس – ما دام ليس تكرارا، ولا تباينا أو اختلافا- هو الوحدة الموضوعية التي تتكامل فيها جوانب الموضوع المفرقة في السور، وفي كثير من السور لكل قضية أو جانب من هذا الموضوع موضع ومناسبة لذكره فيها، فإذا ما أخذت هذه القضايا المتناثرة أو الجوانب المفرقة – لحكم وأسرار – وجمعت معاً تكون منها موضوع واحد متكامل هو ما نسميه بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم أو وحدة الموضوع"[15]، فالأساس الذي قام عليه هذا التفسير هو الوحدة الموضوعية أي هو ذلك التكامل والتناسق الحادث بين آيات القرآن الكريم وسوره والتي تعرض قضية واحدة يسعى المفسر فيها لدراسة جوانب كثيرة لهذا الموضوع ومعرفة النهج الذي قام به القرآن الكريم في عرض هذا الموضوع.

ولقد ذكر جمع من العلماء بعض التعاريف التي تصب في معنى التفسير الموضوعي نذكر منها:

عرفه عبد الستار فتح الله سعيد بأنه ذلك التفسير "الذي يجمع فيه المفسر الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع واحد، على مستوى القرآن كله، أو مجموعة من سوره (كالحواميم مثلا) ويؤلف منها موضوعا واحدا، مترابط العناصر "[16].

وعرفه عبد السلام بأنه "جمع الآيات التي تتناول موضوعا واحدا أو مصطلحا واحدا أو الاقتصار على الآيات في السورة الواحدة، ويفسر ذلك تفسيرا موضوعيا مبرزا وحدة الموضوع، ومحققا لمقاصد القرآن وأهدافه"[17]

وعرفه الفرماوي بقوله: "جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، والتي اشتركت في موضوع واحد وترتيبها حسب نزولها، ما أمكن مع الوقوف على أسباب نزولها وتناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط وإفراده بالدرس المنهجي الموضوعي"[18].

وعرفه مصطفى مسلم بأنه "علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"[19].

تعددت ألوان التعريف لهذا المصطلح فنجد أن هناك من عرفه بأنواع التفسير الموضوعي، ومنهم من عرفه باعتبار الطريقة المنهجية في دراسة هذا اللون من التفسير، ومنهم من عرفه باعتبار مقاصد القضايا الموجودة في القرآن الكريم، إلا أن كل هذه التعاريف لها اشتراك في وتداخل فيما بينها إذ أنها تشترك في عرض القضايا التي تناول القرآن الكريم في ثناياه.

الفرع الثاني: فكرة تأليف كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.

كانت فكرة تأليف هذا الكتاب من الدكتور مصطفى مسلم، حيث ألف كتابه الشهير: مباحث في التفسير الموضوعي عام 1989، أي قبل عشر سنوات تقريبا من إنجاز مشروع الموسوعة، وتناول فيه الجانب النظري من هذا المنهج، وحاول التعرف على نواته الأولى المتمثلة في تفسير القرآن بالقرآن، ثم تطوره وأنواعه، وقد ساق نموذجا تطبيقيا لكل نوع من نوعيه الشهيرين: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، والتفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

ثم ظهر له بعد تدريس كتابه عدة سنوات، أن الحاجة ملحة لإنجاز تفسير موضوعي شامل لسور القرآن الكريم، إلى أن يسر الله من يقوم بهذه المهمة، حيث تبنت مجموعة الكتاب والسنة التي أنشئت سنة 2004 في جامعة الشارقة القيام بهذا العمل، ودعت إلى ندوة من أهل الاختصاص للتشاور حول الخطوات المنهجية والتنفيذية لإبراز هذا المشروع.[20]

المبحث الثاني: معالم الاتجاه الإصلاحي في كتاب: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.

يعتبر هذا التفسير لونا جديدا من التفاسير المعاصرة إذ يرى فيه الدارس تلك الملامح التجديدية في القراءة التفسيرية لفهم آي القرآن الكريم واستنباط هداياته، واسقاطها على الواقع المعيشي الذي طغت عليه الماديات والمغريات، فمن خلال هذا المبحث سيتضح ذلك المشروع الحضاري الذي من أجله أعدّ هذا السفر الجديد من التفسير.

المطلب الأول: علاقة التفسير الموضوعي بالاتجاه الإصلاحي.

يعتبر التفسير الموضوعي أحد أبرز المناهج التفسيرية المعاصرة التي ظهرت كانعكاس لما تقتضيه حاجة الواقع اليوم من ضرورة مواكبة لمستجدات الناس ومعالجتها في ضوء كلام الله تعالى. ويعد كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم رائدا في هذا المجال يقول مصطفى مسلم في مقدمته: "إن التفسير الموضوعي نوع من أنواع التفسير الذي بدأت أصوله تترسخ، ومناهجه تتضح منذ نصف قرن من الزمن فهو إلى جانب التفسير التحليلي والإجمالي والمقارن أصبح يشغل حيزا في الدراسات القرآنية المعاصرة، إلا أن جانب التطبيق العملي غلب على الدراسات التأصيلية وبخاصة الموضوع القرآني... وكتبت دراسات متفرقة هنا وهناك عن المصطلح القرآني، وفسرت سور متفرقة هنا وهناك. ولا أظن أحدا وضع في خطته

أن يقوم بتفسير لجميع سور القرآن الكريم على منهج التفسير الموضوعي، وكان حلما يراودني منذ توليت تدريس هذه المادة في الجامعات منذ خمسة وثلاثين عاما."[21]

إذن يعتبر هذا التفسير أول كتاب استوعب القرآن الكريم بالدراسة الموضوعية من أول القرآن إلى آخره.

إن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم يركز أساسا على ربط القرآن الكريم بحياة الناس، فهو بهذا الاعتبار يتفق مع الاتجاه الإصلاحي الذي يهدف إلى إصلاح الإنسان والمجتمع بالقرآن. يقول فهد الرومي:" التفسير الاجتماعي الذي يعنى بإصلاح المجتمع وتشخيص عيوبه ثم علاجها على ضوء القرآن"[22].

إن علاقة الاتجاه الإصلاحي بالتفسير الموضوعي ترتكز على جعل القرآن الكريم محورا في عملية الإصلاح، حيث تلغي بناء على هذا الأساس ، كل ما يبعد عن هذا الهدف الأسمى من خوض في المسائل الكلامية واللغوية وإيراد الإسرائيليات والاستطراد في التفريعات العلمية. وتبحث في الثمار المجنية من وراء النصوص القرآنية التي تنفع الفرد في علاقته بربه أو مع مجتمعه. وهذه أسمى ثمرات التفسير الموضوعي التي تحاول النزول إلى الواقع وتشخيص علله ومعالجتها بالقرآن الكريم محققة بذلك مقصد الإصلاح. جاء في كتاب التفسير الموضوعي ما نصه: "ثبت في كلام الله أن بني إسرائيل حرفوا كتابهم الذي نزل عليهم، وهذا يستلزم من المسلمين ان يكونوا حذرين فيما يأخذونه منهم، وقد أضير العقل المسلم بسبب كثرة الإسرائيليات إلى بعض كتب الأقدمين، وغالبها مما لا فائدة منه، وقد كان الصحابة حريصين على نقاء منهجم التربوي فلم يردوا هذه الكتب"[23].

المطلب الثاني: تنزيل النصوص على الواقع في كتاب "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم".

من معالم الاتجاه الإصلاحي في هذا التفسير عدم توقفه على ما نقله أئمة التفسير من أقوال في تفسير الآيات القرآنية، بل كثيرا ما نجده ينزل النص على الواقع ويربط بين ما تحمله الآيات من معان وما يحياه الناس في واقعهم.

وهذا المعنى قد أشار إليه بعض العلماء كابن القيم، في بيان ما ينبغي أن يستصحبه الفقيه والمفتي والمعلم للأمة كتاب ربها. حيث يقول:" ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان قوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرا؛ فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله، كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه، ..... ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله."[24].

ومن أمثلة ذلك: ما جاء في تفسير قوله تعالى: "ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ"(البقرة: 178) : حيث لم يقف المفسرون في هذا الكتاب على ظاهر النص بل استثمروها للإحالة على منهج الإسلام في التخفيف والتيسير، وجعلوها قاعدة عامة له. ورد في التفسير الموضوعي لسور القرآن ما نصه:" التخفيف والتيسير منهج إسلامي أصيل. يقول تعالى: "ذَلِكَ تَخْفِيفٌ

مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ" ويقول سبحانه: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ". وأمثلته في الصوم كثيرة. ومن امثلته في الحج قوله تعالى: "فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ" فعلق الأمر بما تيسر. ومن التيسير في الحج أن الكفارات جاءت متدرجة من الأخف على الأثقل، فبدأ بالصيام وهو أيسر على غالب الناس من الفدية، وثنى بالصدقة وهو أيسر من النسك. ومن التيسير أيضا، أن من لم يجد الهدي يجزئه صيام عشرة أيام ولا يلزمه تتابعها.[25].

ومن أمثلة بيان الأثر الإصلاحي للقرآن الكريم ما ذكر عند تفسير قوله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ" (البقرة: 220): " وفي هاتين الآتين إصلاح لأحوال الفرد والمجتمع في طعامهم وشرابهم ونفقتهم، وعلاقتهم مع غيرهم وبالأخص مع الضعفاء واليتامى، وقد اختتمت الآية بذكر الإصلاح واختتمته كذلك بذكر المصلح، وهذا تأكيد على أمر الإصلاح، وبيان أن المنهج الإسلامي الذي يعمر الدنيا قائم على الإصلاح بخلاف السابقين الذين ادعوا الإصلاح وهم في حقيقة الأمر مفسدون."[26].

بناء على هذين المثالين يتبين أن ربط النص القرآني بالواقع هو ثمرة الاتجاه الإصلاحي في هذا التفسير الذي يستثمر الآيات القرآنية في علاج الواقع، وإبراز الجوانب الاجتماعية والمقاصد الكبرى لهذا الدين بعيدا عن الإيغال في الاستطرادات العلمية التي تفقد النص القرآني أثره في معالجة مشكلات المجتمع.

المطلب الثاني: الهدايات القرآنية في كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.

من المسلمات المتفق عليها أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية، فجميع ما ورد فيه من قصص وأخبار وأحكام وعقائد لا يخرج عن هذا المقصد الكلي. ولذلك نجد

الاتجاه الإصلاحي في هذا التفسير يهتم ببسط الهدايات القرآنية مع كل مقطع يفسره. وهذه الهدايات تعتبر بمثابة القواعد القرآنية والسلوكات التربوية والأحكام العقدية وحتى الفقهية التي تثمر أثرا في واقع الناس وتدينهم وكذا تصحيح مفاهيمهم وتصوراتهم في مختلف القضايا.

من أمثلة ذلك: ما ذكر عند تفسير قوله تعالى: " فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (البقرة:209) ". حيث عقد المفسرون في هذا الكتاب عنوانا سموه: الهدايات المستنبطة من المقطع، وصدروه بعنوان: القضايا العقدية:[27] وقالوا:[28]

"من لم تبلغه دعوة الإسلام فلا يعد كافرا لهذه الآية، فقد اشترط مجيء البينات الواضحات ليكون الحساب والعقاب. وقد دلت آيات عدة على هذا الحكم. قال تعالى: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" (الإسراء: 15). قال ابن حزم: " فنص تعالى على أن النذارة لا تلزم إلا من بلغته لا من لم تبلغه، وأنه تعالى لا يعذب أحدا حتى يأتيه رسول من عند الله عزوجل، فصح بذلك أن من لم يبلغه الإسلام أصلا فإنه لا عذاب عليه"[29]

ففي هذه الآية هداية عقدية مستخلصة تصحح تصورا فكريا حاصله أن الله لا يعذب من لم تبلغه الرسالة، ولا يعد كافرا.

ومن النماذج أيضا: في قوله تعالى: "وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ "(البقرة: 205).

حيث عقدوا عنوانا مندرجا تحت الهدايات المستنبطة سموه: الجوانب التربوية:[30] وقالوا في هذه الآية:

"الدين الإسلامي دين يحرص على عمارة الأرض ونفع الناس، ويحذر من أي إفساد في الأرض بإهلاك المزروعات وغير ذلك، بل إنه يحث أتباعه على الإصلاح في الأرض، وذلك

بشقيه المادي والمعنوي، فالنفاق إفساد معنوي، وإفساد الحرث والنسل إفساد مادي، والله لا يحب كليهما"[31].

إن الاتجاه الإصلاحي في التفسير الموضوعي من خلال هذه النماذج برز بصورة جلية في هذه الناحية التي أظهرت لنا الهدايات القرآنية، التي يجعلها المكلف كقواعد يتوكأ عليها في ممارسته للدين ولاستثمار معاني القرآن الكريم.

خاتمة

وبحمد الله وتوفيقه – عز وجل- أتممنا هذا البحث الذي توصلنا فيه إلى النتائج التالية :

1. التفسير الموضوعي والاتجاه الإصلاحي وجهان لعملة واحدة، حيث ينصب اهتمامها على جعل القرآن الكريم محورا للإصلاح وعلاج مشكلات البشرية.
2. ثمة فرق بين الاتجاه والمنهج فالاتجاه أعم من المنهج.، فهو يبحث في الثمرة والأثر المرجو من تفسير القرآن الكريم في الواقع بعد اتباع طريقة معينة في بيان معاني كلام الله تعالى.
3. كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم يعتبر مصدرا مهما وجديدا لم يؤلف مثله في العصر الحديث في ربط القرآن الكريم بواقع الامة.
4. معالم الاتجاه الإصلاحي ظهرت بجلاء في هذا التفسير من خلال:

أ. ربط النصوص بالواقع واستثمارها في تصحيح التصورات وعرض المفاهيم القرآنية التي تنفع المسلم في تدينه.

ب. إبراز الجانب الهدائي لكلام الله تعالى من خلال عنونة نهاية تفسير الآيات بالهدايات القرآنية.

وهذا أصلي وأسلم على نبي الهدى والرحمة صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

توصيات:

1. عقد ملتقيات وندوات تهتم بهذا اللون التفسيري الجديد، وإنشاء فرق بحث لقراءة كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.
2. محاولة تفعيل الجانب الإصلاحي في هذا التفسير في الواقع.
3. استكتاب بحوث علمية تتناول التفسير الموضوعي والاتجاه الإصلاحي.

الهوامش:

[1] إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في التفسير، دار السلام –مصر، الطبعة الثانية، 1439ه-2018م، ص60.

[2] إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في التفسير، ص63.

[3] صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم-دمشق، الطبعة الثالثة، 2008، ص 17-18.

[4] عبد الرحمان بدوي،مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات ، شارع فهد السالم . الكويت، طبعة ثالثة 1977، ص05 .

[5] إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في التفسير، ص63.

[6] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة-القاهرة، الطبعة السابعة، 2000م، ج2، ص363-447.

[7] إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في التفسير، ص227-508.

[8] صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص565-568.

[9] محمد دراجي، محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، دار غبريني لطباعة والنشر والتوزيع-الجزائر، الطبعة الأولى، 2005م، ص165-208.

[10] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص39.

[11] صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص568.

[12] محمد الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثالثة، 1410ه-1990م، ص310.

[13] عثمان أحمد عبد الرحيم، التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط، مجلة الوعي الإسلامي، مطبعة العصرية- الكويت، الإصدار الحادي عشر، ص84.

[14] ينظر: محمد دراجي، محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، ص188.

[15] إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في التفسير، ص328.

[16] عبد الله ستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الثانية 1411ه-1991م، ص17.

[17] عبد السلام حمدان اللوح، وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، مجلة الجامعة الإسلامية: سلسلة الدراسات الإنسانية-غزة-فلسطين، العدد الأول، 2004، ص52.

[18] عبد الحي الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي، مطبعة الحضارة العربية-القاهرة-مصر، الطبعة الثانية، 1977م، ص13.

[19] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم-دمشق، الطبعة الثالثة، 1421ه-2000م، ص16.

[20] - الاء سرحيل- نصار نصار، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم- دراسة نقدية لموسوعة جامعة الشارقة، قسم التفسير وعلوم القرآن- دمشق، مجلة بحوث جامعة حلب- العدد 19 سنة 2019، ص 8.

[21] مصطفى مسلم، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1431ه-2010، ص أ.

[22] فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثالثة، 1418-1997، ج01، ص 17.

[23] مصطفى مسلم، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،ج 01، ص 139.

[24] محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م، ج 1، ص 69.

[25] مصطفى مسلم، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص 250.

[26] مصطفى مسلم، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص 270.

[27] مصطفى مسلم، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص 270

[28] مصطفى مسلم، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص 270.

[29] – مصطفى مسلم، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص 270.

[30] – مصطفى مسلم، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 1، ص 276.

[31] مصطفى مسلم، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص 276.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الاء سرحيل- نصار نصار، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم- دراسة نقدية لموسوعة جامعة الشارقة، قسم التفسير وعلوم القرآن- دمشق، مجلة بحوث جامعة حلب- العدد 19 سنة 2019.

2. إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في التفسير، دار السلام –مصر، الطبعة الثانية، 1439ه-2018م.

3. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة-القاهرة، الطبعة السابعة، 2000م.

4. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم- دمشق، الطبعة الثالثة، 2008.

5. عبد الحي الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي، مطبعة الحضارة العربية- القاهرة-مصر، الطبعة الثانية، 1977م.

6. عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات ، شارع فهد السالم. الكويت، طبعة ثالثة 1977.

7. عبد السلام حمدان اللوح، وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، مجلة الجامعة الإسلامية: سلسلة الدراسات الإنسانية-غزة-فلسطين، العدد الأول، 2004.

8. عبد الله ستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الثانية 1411ه-1991م.

9. عثمان أحمد عبد الرحيم، التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط، مجلة الوعي الإسلامي، مطبعة العصرية- الكويت، الإصدار الحادي عشر.

10. فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثالثة، 1418- 1997.

11. محمد الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثالثة، 1410ه-1990م.

12. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1411ه - 1991م.

13. محمد دراجي، محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، دار غبريني لطباعة والنشر والتوزيع-الجزائر، الطبعة الأولى، 2005م.

14. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم-دمشق، الطبعة الثالثة، 1421ه-2000م.

15. مصطفى مسلم، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1431ه-2010.